المحاضرة 07
الدراسات الجيوسياسية المعاصرة

منذ نهاية الثمانينيّات وضعت الولايات المتّحدة استراتيجيّة شاملة لضمان تفوّق الجيش والشركات الأمريكيّة على العالم .تمحورت هذه الاستراتيجيّة حول كونسورسيوم من الشركات الكبيرة في قطاعي الكمبيوتر والطيران، وهي التي مكّنت القوّات الأمريكيّة من غزو العراق، عام . 2003 هذه الاستراتيجيّة العالميّة تشمل الآن جميع قطاعات النشاط تقري با، وتعتمد على استخدام منظّم ج دا لتكنولوجيا المعلومات(الإنترنت، الشبكات.)
وقد دفعت الرغبة في الوصول إلى الموارد النفطيّة إلى تحديد استراتيجيّات خاصّة تقوم على السيطرة على هذا المورد الحيويّ عالم ي ا، لا لأنّ الولايات المتّحدة تحتاجه، بل لأنّها تريد أن تتحكّم باستخراجه وتوزيعه، فتأمر بزيادة حجم الإنتاج أو خفضه، وتمنع أو تسمح بتصديره إلى هذا الطرف أو ذاك(.جيوبوليتيك النفط.)

Zbigniew Brzezinski 1928- 2017 رقعة الشطرنج الأوراسيّة الكبرى

اعتبر زبيغنيو بريجنسكي أنّ الصراع العالميّ، بعد نهاية الحرب الباردة، اتّخذ أبعا د ا أكبر، وبات
يشمل الساحتين الأوروبيّة والآسيويّة،" أوراسيا"، وهو يتموضع بين ماكندر(قلب العالم- أوراسيا)وسبايكمان(الحافّة .)ويحاول ابتكار خطّ سياسيّ يسمح للولايات المتّحدة، التي لا بدّ أن تتراجع، بأن تحافظ على هيمنتها ما أمكن في وجه أوراسيا، وخاصّة روسيا.
يرى بريجنسكي انزياح القشرة الأرضيّة(القوّة)صوب الولايات المتّحدة الأميركيّة، القوّة الأولى في التاريخ، فهي لا تسيطر على كامل المحيطات والبحار، ولكن لديها globale الشاملة ، hyperpuissanceقوى برمائيّة تسمح لها بالتدخّل في كلّ مكان، لذلك هي القوّة العظمى التي تفرض نفسها على العالم، ولا نظير لها في ديمقراطيّتها، وتتميّز بقلّة ميلها الفطريّ للحروب البعيدة، وهيمنتها لا تعتمد على الاجتياح الأرضيّ الصرف، بل هي تختار شركاء لتصنع منهم حلفاء طيّعين(ألمانيا، اليابان،)...، إ ذ ا هي، بدل السيطرة، تؤكّد أنّها نموذج يقتدى به.
وهي تدير علاقاتها مع الخارج، كما تدير تنوّعها الداخليّ، من خلال" بنية معقّدة من المؤسّسات والوسائط المقامة لتخلق التوافق وتخفف من اللاتوازن والاختلاف."
لكن رغم هذا الحجم، فالهيمنة الأميركيّة تبقى سطحيّة وتحت رحمة عودة النزاعات، إنّما هذا لا يحصل إلاّ في أوراسيا، المنطقة التي يخطىء من لا يهتمّ بها، فأوراسيا لم تقل بعد كلمتها الأخيرة .إن المحور الجغرافيّ للتاريخ"، والرهان الجيوبوليتيكيّ الأساسيّ هو أوراسيا هذه، "التي تشكّل "المسرح الوحيد الذي يمكن أن يحتمل ظهور المنافس من أجل السيطرة عليه.
لكنَّ القوى الرئيسيّة :أوروبا الغربيّة والمجمّع الصينيّ - اليابانيّ في الشرق، لا تتركّز في قلب العالم، بل في الريملاند السبايكمنيّة .أمّا الهوامش الجنوبيّة، وعلى رأسها العربيّة طب ع ا، فهي ذات استراتيجيّة مفصليّة، بسبب الكمّيات الهائلة من موارد الطاقة(ما كان يهمله ماكندر، كما أسلفنا .)فالخطر على القوّة المهيمنة لا يمكن أن يأتي إلاّ من قوّة مضادّة تتوصّل إلى فرض هيمنتها على أوراسيا .وهذا السيناريو يمكن أن يتحقّق انطلا ق ا من محاور جغرافيّة متعدّدة، وليس فقط من قلب العالم، فبروز القوّة في أوراسيا سيكون نقطة الانطلاق

للهيمنة الشاملة. ولكي تمنع بروز قوّة مخاصمة في أوراسيا، على أميركا أن تحافظ على الانقسامات داخل تلك المنطقة.
تدور اللعبة، حسب بريجنسكي، على رقعة شطرنج مشوّهة ومترامية الأطراف، تمتدّ من لشبونة(البرتغال)إلى فلاديفوستوك(على الطرف الشرقي لروسيا" .)حيث تلعب الولايات المتّحدة الدور المهيمن، وإذا لم يكن الجنوب خاض ع ا للهيمنة الخالصة للاعب واحد، وإذا لم يحقّق الشرق وحدته بشكل يجعل أميركا تُط رد من قواعدها الجزريّة(اليابان، تايوان)، فستحتفظ أميركا بوضع مهيمن .لكن إذا قُ طع الفضاء الأوسط(المركزيّ)عن الغرب وشكّل كيا ن ا دينام ي ا قاد ر ا على المبادرات الخاصّة، وإذا أمّن، نتيجة لذلك، سيطرته على الجنوب أو شكّل تحال ف ا مع اللاعب الأساسيّ الشرقيّ، عندها سيضعف وضع أميركا في أوراسيا بشكل رهيب .في الشرق سيكون لاتّحاد القوّتين نتائج مشابهة، وأخي ر ا على الأطراف الغربيّة. وسترسم إزاحة الولايات المتّحدة من قبل شركائها نهاية الشراكة الأميركيّة في لعبة الشطرنج الأوراسيّة، حتّى ولو عنت تلك العودة إلحاق الأطراف الغربيّة بلاعب أصبح قو يّ ا في المنطقة
الوسطى(المركزيّة) إنّ الهيمنة الأميركيّة ضرورة لاستقرار العالم، فمسؤوليتها لا مثيل لها، ولكنّها لن تستمرّ إلى الأبد، لذا يجب إيجاد ظروف تطيل هيمنتها إلى اقصى أمد ممكن، وعليها الحفاظ على الشراكة الأطلسيّة، وتقويتها لتحمي رأس الجسر الأوروبيّ، وعلى الاتّحاد الأوروبيّ أن يمتدّ إلى الشرق. وستكون ألمانيا على المدى المتوسّط حلي ف ا ناج ح ا أكثر من فرنسا. أمّا روسيا فيجب عدم دفعها إلى الفوضى، أو إلى ديكتاتوريّة تسيطر على إمكاناتها الهائلة، ويجب الانتباه لأوكرانيا وأذربيجان، اللتين تسيطران على مداخل البحر الأسود وبحر قزوين، اللذين يجب منع روسيا من أن يكون لها فيهما موطئ قدم! أمّا البلقان فهي منطقة فارغة وفيها مكامن الهيدروكاربون، يجب أن تعمل الولايات المتّحدة على تهدئة هذه المنطقة دون أن تسمح لتركيا أو لإيران أو لغيرهما بالهيمنة فيها، وينطبق هذا الأمر بالضرورة على الشرق الأوسط. أما اليابان فليست لاع ب ا جيوبوليتيكيّا حقيق يّ ا كالهند والصين في المنطقة .لذا فإنّ كوريا
الجيوبوليتيكيّ . ووجود أميركا فيها يشكّل مظلّة لحلفائها، بما pivot الجنوبيّة تشكّل المحور فيهم اليابان، التي تمنعها أميركا من امتلاك قوّة عسكريّة خاصّة تهزّ الاستقرارات الإقليميّة. وبالنتيجة يجب أن تمارس أميركا استراتيجيّة" فرّق تسد"، دون الوصول إلى إحداث صراعات
جيوبوليتيكيّة قويّة تضرب الاستقرار الضروريّ لازدهارها. لكن،" بما أنّ القوّة الأميركيّة غير المسبوقة آيلة إلى التراجع على مرور السنين، فالأولويّة الجيوستراتيجيّة هي ا ذ ا بإدارة صعود القوى العالميّة الجديدة بحيث لا تشكّل خط ر ا على النفوذ الأميركيّ" ." إنّ أوروبا أوسع تسمح بزيادة مدى التأثير الأميركيّ)....(أوروبا ربّما تصبح في مدى ما وممتدّة إلى كلّ (égide) دعامة حيويّة لبناء كبير من الأمن والتعاون موضوعة تحت الرعاية أوراسيا)...(وتبقى أوروبا الغربيّة، إلى حدّ كبير، محميّة لأميركا، التي عليها أن تذكّر دولها بما كان في الإمبراطوريّات القديمة1" : Les vassaux10 et les tributaries.
ويؤكّد بريجنسكي أنّ" في العرض الراهن يمكن أن نميّز على الخارطة الجديدة pivots الجيوبوليتيكيّة لأوراسيا، على الأقلّ، خمسة فاعلين جيوستراتيجيّين، وخمسة محاور

جيوبوليتيكيّة :)...(فرنسا، ألمانيا، روسيا، الصين، الهند .وهؤلاء فاعلون من الدرجة الأولى، في حين أنّ بريطانيا، اليابان، إندونيسيا، وهي بلا شكّ بلدان هامّة ج دّ ا، لكنّها لا تنتمي إلى . هذه الفئة .وأوكرانيا، أذربيجان، كوريا، تركيا، إيران، تشكّل محاور جيوبوليتيكيّة مفصليّة يلاحظ بريجنسكي أن القوّة الشاملة للولايات المتّحدة مهيمنة في أربعة قطاعات :الاقتصاد، الميدان العسكريّ، التكنولوجيا، الثقافة، إلى درجة أن لا أحد ينافسها . ولتعزيز هذه الهيمنة، للسيطرة على مصادر (pouvoir de projection) يؤيّد بريجنسكي دو ر ا للقوّة العسكريّة الطاقة .من هذا المنظور(وكان منظور" عقيدة كارتر "لسنة .) 1980 عُدَّ البترول، لا مصد ر ا للثروة وحسب، بل مصد ر ا للسلطة/القدرة، يجب منع وصوله إلى منافسين احتماليّين(أو من يكونون قادرين على ذلك، والأمر في الحالتين هو نفسه .)هؤلاء المنافسون المحتملون هم" الفاعلون الجيوستراتيجيّون من الدرجة الأولى ..."وهم روسيا، الصين، الهند، الاتّحاد الأوروبيّ .وهذا من جملة ما يدفعها إلى الهيمنة على نفط الخليج. الجديد، ستكون الأصعب في عملية Heartland ويرى بريجنسكي أنّ الصين وهي قلب العالم الإعاقة، بسبب كتلتها وإرادتها وخصوصيّتها .فبكين هي" الآخرى "في الاستراتيجيّة الأميركيّة،
هي العدوّ الذي يبرّر جهود أميركا في أوراسيا_

المصدر:

مجلة دراسات وتقارير سلسلة غير دورية تعالج قضايا وإشكالات راهنة/ الجيوبوليتيك منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى الآن/ العدد19/كانون الأول 2019، الطبعة الأولى/المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق،ص18.